حديث بالغ الدلالة « الزعماء العرب الذين اعتمدوا على الولايات المتحدة ، سيساء الظن بهم ، ولا يصدقهم احد في اقوالهم ، فاسلوب الخطوة خطوة قد مني بما قطع انفاسه ، اولا من ناحية الاردن ، وثانيا من جهة مصر . وقد اخذ زمام ضبط الحوادث والسيطرة عليها يفلت من يدنا . والان سنرى العرب يعملون معا في جبهة متحدة . وسيشتد الاهتمام ويزداد بالفلسطينيين ، وسيتم ربط بين التحركات في سيناء وفي الجولان ، وسيعود السوفيات الى مسرح الاحداث والولايات المتحدة اخذت تفقد سيطرتها على مجرى الامور .. وسيضطر الاوروبيون الى التعجيل في انشاء علاقات لهم بالعرب .. الخ » ص ٣٤ .

ولم يصدق حدس كيسنجر ، ولم تتحقق مخاوفه (٥) ، فقد « اكد السادات ثقته بكيسنجر ، وجدد مدة انتداب قوات الطوارىء التابعة للامم المتحدة في سيناء . واعاد في اوائل حزيران — يونيو — فتح قناة السويس . **وهذه العوامل تضافرت جميعها على نقض الصورة التي كان كيسنجر يأخذ بها عن المستقبل** » .

عبقرية فرد ام تخاذل انظمة ؟

فالمسألة اذا ، لا علاقة لها بنبوغ وعبقرية الفرد كيسنجر (وان كنا لا نبخسه حقه في الذكاء والحنكة) ، ولاترجع الى مرونة وتفتح المؤسسات الامريكية المختصة ، او قدرة نظام صناعة القرار الامريكي على التأقلم والتكيف (وهذا يجري في حدود ضيقة للغاية محكومة باطار الحتمية التاريخية) وانما نعزو نجاح هذه السياسة في الاساس الى **ظروف وواقع موضوعي محلي** ، كانت عاملا في « فرض » النجاح على وزير الخارجية الامريكي (رغم انفه ، ان جاز القول) ، حتى حينما اخطأ الحساب واساء التقدير ، المرة تلو المرة . **فالتحولات الجذرية التي طرات على المنطقة ، داخل النظم والقيادات البرجوازية ، انضجت الظروف ومهدت الطريق ، وفتحت الابواب على مصراعيها — بل واقامت اقواس النصر — للمسيرة المظفرة للسياسة الامريكية ، في عصر افولها** . وذلك لان النظم والقيادات الراسمالية المحلية استنفدت طاقاتها وقدراتها « الوطنية » ودخلت مرحلة عقمها **وانهيارها — كحتمية تاريخية —** ، **الامر** الذي يقود بالضرورة الى مواقف الخنوع والاستسلام ، والاكتفاء والالتحام في وضع التبعية للمعسكر الامبريالي ، دون ان يبرز وينضج البديل الثوري المؤهل لانجاز المهام القومية والاجتماعية ، بالقدر الكافي والقوة الاستقلالية — الفكرية والسياسية والتنظيمية — التي تكفل احباط الردة .

ويتابع الكاتب — باختصار — تغطية مباحثات وتوقيع اتفاقية سيناء الثانية .. « والسادات يبدو مستسلما بصورة غريبة » .. و « كان المصريون قد وافقوا على محطات المراقبة الامريكية » ص ٤٠ و « اعطى السادات اسرائيل الالتزام بحالة عدم الحرب في كل شيء الا الاسم .. ووعد كيسنجر سرا ، بانه لن يشترك في حرب اذا هاجمت سوريا اسرائيل » ص ٤٣ .. الخ . ولكن شيهان لا يتطرق الى التحولات الداخلية السياسية